الاقتداء بكبار المفكرين الاسلاميين القدامى... ضرورة عصرية

د. أمينة الجابر:

طالبت د. أمينة محمد بن يوسف الجابر الاستاذ بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة قطر بضرورة الاقتداء بكبار العلماء والمفكرين الاسلاميين القدامى وخاصة في طلب العلم والاخلاص له.

واكدت على اهمية التمسك بالاخلاق العلمية الفاضلة التي التزموا بها وارسوا قواعدها طوال فترة حياتهم والتي مكنتهم من ان يتركوا تراثا علميا عظيما كان له اثره ولا يزال في مسيرة الامة الاسلامية نحو التقدم والرقي.

جاء ذلك في المناقشات التي اثارتها د.أمينة في الجلسات العلمية في الاحتفال بمناسبة مرور خمسة قرون على وفاة الامام السيوطي والذي اقيم بجامعة الازهر بالتعاون مع المنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم.

قالت: دأمينة الجابر ان الامة الاسلامية عرفت طوال تاريخها رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه يجاهدون بالقول والعمل ويعيشون حياتهم لتظل احكام الله وفرائضه معلومة للناس فلا يفرطون فيها او يحيدون عنها وانما يعتصمون في كل شأن من شئونهم بها.

وتضيف: ومن الاعتراف بفضل هؤلاء العلماء الذين اعطوا لامتهم الخير الكثير ان نذكرهم ونعرف تاريخهم وما قدموا من اجتهادات وآراء كانت على الطريق منارات هادية حمت الامة في عصور المحن والشدائد من كل الاخطار والاضرار وهذا الاعتراف بفضل العلماء فيه ربط حاضر الامة بماضيها وتوجيه للاجيال المعاصرة للانتفاع بتراث هؤلاء العلماء الاعلام الافذاذ والاقتداء بسيرتهم في العمل والعطاء.

تمزق المسلمين والقطيعة بين الفقهاء .. وراء تدهور الدراسات الفقهية

مجاهد خلف
القاهرة ـ مكتب الشرق

وتضرب د. امينة المثل على ذلك بالامام جلال الدين السيوطي والذي عاش نحو ستين عاما وتوفي عام ٩١١ هـ وحقق في هذا العمر مجدا علميا فائقا وانتشرت مؤلفاته التي قاربت الستمائة في جميع الاقطار شرقا وغربا ودرس الامام السيوطي على اعلام الشيوخ في عصره في مختلف الفنون والعلوم وقد نبغ في كثير منها والف فيها وأجيز للتدريس والافتاء وهو دون العشرين.

□ السيوطي فقيها

وركزت د. امينة حديثها عن الامام السيوطي الفقيه وعرضت للعصر الذي عاش فيه السيوطي وما شاب الحياة الفكرية آنئذ من ركود وتدهور تقول عن هذا العصر (النصف الثاني من القرن التاسع والعقد الاول من القرن العاشر):.

يكاد يجمع المؤرخون على ان الحياة الفقهية بعد سقوط بغداد في ايدي التتار سنة ٦٥٦هـ لم تعرف تجديدا يذكر وسادها التقليد وفقدت الابداع وانحصر نشاط الفقهاء في التلخيص وكتابة المتون والشروح والحواشي ووضع التعليقات والتقارير.

وكان السبب في هذا الضعف الذي الم بالحياة الفقهية ـ كما ترى د. امينة الجابر ـ هو تمزق العالم الاسلامي وانقطاع الصلة بين الفقهاء واهمالهم لدراسة العلوم التاريخية والادبية واللغوية وطغيان العامية على معظم البلاد العربية وبخاصة بعد استيلاء الدولة العثمانية على هذه البلاد وجعل اللغة التركية هي اللغة الديوانية.

هذا بالاضافة إلى انتشار البدع والخرافات وحرص الفقهاء على المناصب يطلبونها من الحكام وكانوا في القرون الخالية لا يطلب الحكام غير رضاهم.

واذا كانت الحياة الفقهية في تلك المرحلة التاريخية من حياة الامة قد عرفت بعض المجددين والمصلحين الذين دعوا إلى الاجتهاد ونهوا عن التقليد كابن تيمية وابن القيم فان جهود هؤلاء المصلحين لم تستطع ان تغير من الواقع المتخلف شيئا.

وتستدرك د. امينة قائلة: واذا كان عصر السيوطي هو عصر التخلف العلمي بوجه عام فانه مع هذا كان عصر الموسوعات اللغوية والتاريخية والادبية وهذه الرسومات حفظت التراث الاسلامي ونقلته إلى الاجيال مما حافظ على بقاء الصلة الفكرية بين الماضي والحاضر.

وعن حياة السيوطي الفقهية تشير د. امينة إلى ان السيوطي نبغ في سبعة علوم منها الفقه ونبوغه في الفقة لا يكون صحيحا الا اذا كان دارسا للفقه الاسلامي في مختلف مذاهبه وكان مع هذا ذا عقلية علمية مستقلة لها آراؤها الخاصة واجتهاداتها الذاتية.

تقول: درس السيوطي الفقه الاسلامي بمذاهبه المختلفة وان انتسب إلى المذهب الشافعي وشملت دراسته كتب الاصول والفروع فهو ليس فقيه مذهب وانما فقيه في الشرع ومن يقرأ مؤلفات السيوطي في الفقه والاصول ويطلع على آرائه الفقهية في مختلف مؤلفاته يحكم بان هذا الامام كان على دراية وافية بمذاهب الفقهاء وارائهم وانه درس هذه الاراء وعرف اصولها واسباب الاختلاف بينها.

وترى د.امينة الجابر ان منزلة السيوطي الفقهية تحددها امور اربعة:

○ مؤلفاته التي غلب عليها الدراسة المقارنة بين فقهاء المذاهب الاربعة.

○ آراؤه الاجتهادية التي انفرد بها او رجحها وهي كثيرة.

○ دعوته الملحة إلى الاجتهاد ووضع قيود علمية لمن يجتهد ويفتي.

○ محاربة التقليد والبدع والخرافات فهي في جوهرها دعوة لاحترام العقل وفهم الشرع والتوسط والاعتدال في كل شيء.

وتؤكد د. امينة ان السيوطي كان فقيها كملت لديه ادوات الاجتهاد وكان له منهج يقوم على النقل والعقل ويتسم بالاستقرار والتحليل للاراء لذلك فلا عجب ان يصل إلى ما وصل اليه حتى اصبح علما من اعلام الفكر الاسلامي ادى رسالته على احسن وجه.